«قصائد روتها الريح» للوطن والطفولة

الغربي عمران

سؤال:
«قال لي طفلي
-الذي لم أره منذ زمن-
كيف لي:
أن أكشف سر الوردة الثكلى
وأحزان الوطن».

جزء من نص أورده الشاعر العربي عِذاب الركابي على غلاف ديوانه الأخير"قصائد روتها الريح".. الصادر عن الهيئة العامة لقصور الثقافة..سلسلة أفاق عربية القاهرة 2014 والذي ضم 31 نصاً أترك للقارئ التأمل فيه.

وأعترف بأني أقف عند كل نص من نصوص هذا الديوان منبهرا بما تحمله من معان ودلالات عميقة..يحتاج كل منها إلى عشرات الصفحات من التحليل واكتشاف أعماق تلك النصوص المدهشة.

شاعر حين يكتب تفوح من قصائده رائحة الروح التواقة للإنعتاق.. راسماً مساحات من الوجد للوطن وأماكن الطفولة الأولى.. تظلل نصوصه ملامح الغربة.. الشوق للوطن.. وهو البعيد عن وطنه العراق لعقود طويلة..شاعر يتوق إلى رائحة الأنثى ليخط بمداد قلبه إغواء مشاعره مازجا بين الوطن والأنثى.

وفي احتفائيتنا هذه بديوانه الوليد..نبحث عن الغائب في شعر عِذاب..وعما يرمز إليه في نصوص ديوانه .. وعن نقيض حضوره. فالوطن الغائب حاضر بقوة في كل مفردة بشجن وعتاب مؤثر.. والأنثى الرمز حاضرة أيضا بقوة..وكذلك الاغتراب كنقيض لحضور الوطن..يحضر بشكل وافر.

وبدايةً بأهم العتبات .. عنوان الديوان والمأخوذ من أجمل نصوصه"قصائد روتها الريح" المتأمل لهذا العنوان وما يحمله من دلالات ..سواء بتشريحه على مستوى كل مفردة.. أو كجملة كاملة.. سيجد اللوعة والحرمان والضياع..ويجد الحنين والوجد والسمو.. فمفردة (قصائد) تحملنا إلى أسمى معاني الفن الإنساني وسمو مشاعره وما ترمي إليه قصائده.. والمفردة الثانية من العنوان (روتها).. تستدعي إلى ذهن القارئ قيمة الحكي أو القص وما توحي إليه هذه المفردة من ثقافة الرواية والسرد لمسيرة الإنسان من قصص الحروب والحضارات..إلى حكاية الأساطير والغيبيات ..مرورا بالرواية الحديثة وما يعيشه فن الرواية وتعيشه بنا.. والمفردة الثالثة والأخيرة في العنوان الريح.. والريح وما يتبادر إلى الذهن من ضياع وهروب وانتشار. وفي مجمل المعنى لتلك الصورة المبتكرة ..ونحن نتخيل ريح تروي شعرا.. وحولها من ينصت باشتهاء.

وإذا ما أخذنا العنوان كجملة متكاملة"قصائد روتها الريح" لحظتها يتبادر إلى الذهن سؤال: لما لا تكون قصائد ألقتها الريح؟ بدلا عن روتها الريح.. حتى يستقيم المعنى..على اعتبار أن الشعر يلقى. والسرد يروى ..ومن ناحية ثانية..لماذا الريح هي التي تروي القصائد..وليس كائن آخر ؟ وهكذا نجد أن ذلك العنوان يثير أكثر من سؤال .. لتحملنا دلالاته في أكثر من اتجاه.. ويحضرنا الوطن في إحداها وفي أخرى الحرمان والضياع .. كما تحضر الأنثى بما تحمله من رمزية للوطن والعطاء والعاطفة. وهنا ينتج العنوان ثلاثة إيحاءات : الوطن وما يرمز إليه من آمان واعتداد واستقرار.. الأنثى وما توحي إليه من عطاء وحب وخصب.. الاغتراب وما يذهب بنا إلى الحرمان والحزن والوحدة.. إضافة إلى ما يمكنه أن يوحي به هذا العنوان من إيحاءات قد تختلف من متلقى إلى آخر.

تأتي مقاربتي هذه نتيجة لما أثارت فيّ تلك النصوص المتنوعة بروعة إتقانها .. دافعة بي للبحث فيما وراء ظاهر النص .. والبحث فيما خلف السطور..وبداية بتلك العناقيد الشعرية التي وضع الشاعر لكل نص عنوان ثم عناوين فرعية بداخل النص ليقرأ القارئ تلك النصوص الفرعية بمعنى منفصل .. وفي نفس الوقت متصل ببقية نصوص العنقود ..ومنها : خمس قصائد هاربة، قصائد روتها الريح، إضاءات، مدارات، وصايا السنبلة، وقت للتراشق بالورد.. والمطر.

وتلك العناقيد تجربة وتجديد في بنية النص الشعري..وإن كتبه غير شاعرنا.. إلا أننا ندرك تلك العلاقة بين أجزاء العنقود ..فكل مقطع كما ذكرنا نص بكل أركانه الموضوعية والفنية..وكل أجزاء العنقود مركب بكل مبهر ..فهي تتصل ببعضها في المعنى ومن خلال الشكل وإيقاع اللغة وموسيقاها.. وفي الوقت قدم كل مقطع أو نص ليمون قائم بذاته كنص شعري متفرد.

ثم هناك قصائد شبيهة بالعناقيد الشعرية إلا أن الشاعر اكتفى بتقديم كل عنقود تحت عنوان رئيسي واحد .. ليترك مقاطع العنقود دون عناوين فرعية مكتفيا بنقطة بداية لكل مقطع او نص فرعي ، وتلك الشبيهة بالعناقيد هي : الخريف يستقيل، بورتريه،فقط كوني أنت،فتى من سلالة الريح،جلجمش لن يغيب طويلا، الصبح.. ليلا، في حضرة نجمة تائهة،استحالة، ثانية لن أبيح بحبي، إلى ..نزار قباني.

وما ينطبق على العناقيد الأولى ينطبق على شبه العناقيد.

وكلماتي تلك لا تعني انتقاصاً من أحد بقدر ما تعني أننا اليوم في حضرة نص جديد .. وما هذه القصائد التي تقوم بعضها بمقام ديوان كامل إلا خير دليل على أن الشعر العربي يبحث عن فرسان إيحائه .. ومن يقرأ ديوان قصائد روتها الريح سيدرك أنه أمام شاعر كبير..بل وأحد مجددي الشعر العربي الحديث.

ومن عنقود "خمس قصائد هاربة" نقتطف التالي :وحدة، عشق،مقاومة، انتماء،طموح. نقتطف بعضها:

• وحدة

«أهلي بعيدون
والنخل تردد في الإصغاء
لأغنيتي
وامرأةٌ
ترتاحُ على كتفيها الأرض..
تغيب!»

بعد قراءة هذا النص أو المقطع داهمني شعور بالحزن ، وهذا هو يقدم لنا أوطاناً بعيدة.. وكأنها المستحيل.. فإذا كان البعض بعيدا عن وطنه فأن البعض من بقوا داخل أوطانهم مبعدون.. بفعل هيمنة الفكر الجهادي التكفيري..تلك الجماعات المتأسلمة والأنظمة العسكرية .. وسلطويون دأبوا على ارتكاب الفظائع في حق شعوبهم ..بالقتل والنسف والحرق والتهجير.تارة باسم الله..وأخرى باسم الوطنية الجوفاء. والجميع يعرفون بأنهم قتلة وتدميريون.

قادة الدين والمذهبية جعلوا من الحياة في الأوطان جحيماً ..جعلوها بعيدة حتى لقاطنيها. نص الركابي يوحي لنا بأن الأوطان ليست قطعة أرض.. الأوطان حيث تترعرع قيم المحبة والسلام .. حيث نتحاب ونتعاون ولا يلغي أحدنا الأخر.

"النخيل تتردد في الإصغاء لأغنيتي." وهي تعيش أغاني الرصاص .. ونواح الثكلى.. وطني بلد المليون نخلة ترفض تلتفت إليَّ وهي المنشغلة بتلقي القذائف واشتعال الحرائق..

وتلك الأنثى عشتار آلهة الخصب والجمال ..آلهة الحب ..تتوارى بعيدا وتغيب.. من كانت تحمل أحلامنا وأمالنا.

وهكذا نجد الشاعر يحمل وطنه في منافيه.. يحمل أنثاه ليجسدها شعرا كمياه الرافدين النقية.

- عشق

«امرأةٌ
-كنت أرتب عشب القلب له-
أمنحها إذنا
للركض بذاكرتي
والسكن بوجهي، وبأنهار يدي..!
امرأة.. يا الله
أصابعها الثلجية تورق نارا
فتقلق نومي
وتطارد طيرا ذهبيا
يبني عشه
في رئتي»

وأنا أقول يـاااا ألله ما أروع هذا النص وما أقواه.. وأعلن صمتي من أن أتحدث حول تلك العظمة وما تحمله الكلمات.. وما ذهب الشاعر في رحلة الروح إلى أقصى مدى..وأترك للقارئ أن يعيش ذلك النص الذي يزن أكثر من ديوان..

• انتماء

«حيرني الجسد المصنوع
من تمر، وأشعار، وماء!
حيرني النخل
الذي يضحك في وجه الرصاص التتري
حيرني الاسم الربيعي
التي تحفظه الشمس
حيرني صوتك-هذا النغم الكوني-
يا ابن الفقراء».

"حيرني صوتك-هذا النغم الكوني- يا ابن الفقراء" ما أجمل هذا الخط البياني حين يصل بنا منتصرا لأبن الشعب وقد أقرنه بالنغم الكوني.. وما يعني بالكوني من سعة في السمو والرفعة لطينة الإنسان.

الشاعر يحن إلى موطنه كما يحن الصوفي إلى صومعته.. وإن كان يبشر بعالم دون حدود.. وهكذا هو عذاب يعيش متنقلا حاملا العراق.. يغني للنخيل.. للأنهر.. للأساطير ..للآلهة.. للرافدين.. للسنابل.. للنساء .. والمواويل الشجية.لذلك الإرث الإنساني العظيم منذ فجر الحضارة البشرية في أرض الرافدين.

لكنه في نفس الوقت يطوف بنا في وطنه الأوسع حول خطوط الطول ودوائر العرض ليهدي مصر قصيدة الروح"وقت للتراشق بالورد..والمطر" ولليبيا أجنحة من نور"فتى من سلالة النور".. هنا يرينا الشاعر بأنه بقدر تقديسه لرافديه فأنه لا يؤمن بأي حدود بين البشرية..إلا ما أحست به الروح . وهذه الأرض بيته وكل البشر أخوته يتغنى بروعة الوجود وسره الإنسان.

"قل كلمتك
أو ضعها في حنجرة الريح
فالكلمات كبريت
والواقع غابة"

كبريت .. غابة .. حريق هائل. وهكذا يستدعي الشاعر ما يدور في أنحاء الأرض من أحداث..وخاصة في العراق.. سوريا ليبيا.. ويستدعي عظمة الفكرة وخلودها "اليسوع" يستدعي بزوغ الفكرة .. تنتشر.. بينما قائلها كان قد رحل" أو ضعها في حنجرة الريح.. فالكلمات كبريت.. والواقع..." هكذا يمضي العظماء وتبقى أفكارهم نارا وضاءة .. والزمن غابة. وهكذا يقدم لنا تلك الأفكار العميقة .. ليقف المتلقي متأملا في ما تحمله من معان. لنستدعي من وعي ذاكرتنا بذار الفكر البشري الأول.

عنقود آخر من ثمانية نصوص هي الأخرى يمكننا قراءتها متصلة ومنفصلة ..ومنها.

"خذ أول مركب ريح
فالأرض بأكاذيبها زائلةٌ
والأوطان.. تُهم.. وعذاب.. ودخان!"

هاهو الوطن المسبي يطل من كلمات قليلة .. ليس على شكل جلاد كما توحي ظاهر الكلمات.. بل ضحية ومن بعده الشاعر الذي يمتطي المنافي.. ليكفر بما يراه الآخرون إيمانا. وهاهي الكرة الأرضية مسبية وقد اختطفتها قوى الاستغلال والاحتكار العالمي وأحكمت قبضتها ..ولم يعد حق البشرية في العيش الكريم.

الأوطان تُهمٌ وعذاب ودخان. لا أظن بأن هناك أشد قتامة من ذلك الوصف للأوطان. لكنه وصف الضنين بوطنه..ولعنه مصوبة للجلادين. والجلادون كثر ابتداء بمن يسمون أنفسهم رؤساء الدول المتحضرة مرورا بأنظمة امتهنت التسلط والكبت.. نهاية بجماعات لا تعي من الوجود غير جز الرقاب ومطاردة من خالفهم.

ونحن في هذه العجالة لا يمكن أن نعطي تلك النصوص حقها.. ونكتفي بهذه التحية القصيرة بعض نصوص أحد دواوينه.

فشاعر كبير بوزن عذاب الركابي من حقه علينا أن نحتفي بكل إصدارته الشعرية والنقدية.. وهي دعوة للنقاد والمنتديات العربية أن يتناولوا مثل تلك الأعمال الفارقة بدراسة تجربته المتميزة.

عذاب الركابي كاتب وشاعر عربي من العراق مقيم في مصر.. صدر له تسعة دواوين شعرية وثمانية في النقد وله عدة كتب قيد النشر، شغل محرراً في أكثر من مجلة ثقافية عربية ..كما عمل محرراً في أكثر من إصدار إبداعي. ينشر مقالاته النقدية في عدد من المجلات العربية المحلية والمهجرية.

ظبيةُ الهوى

فايز البخاري

أُخفي الهوى وإلى متى أُخفيهِ ؟
وأنا الذي قد شبّ في ناديهِ
وأنا الذي قد صارَ قلبي مرتعاً
لمليكةٍ رقصتْ على شاطيهِ
لمليحةِ ذابَ الفؤادُ بنظرةٍ
لمّا دنتْ كالضوءِ من واديهِ
خَطَرتْ أمامي خطرةً فكأنّها
غصنٌ يُحركُ خصرَهُ جانيهِ
ضرَبتْ بخطوتِها فشدّتْ مسمعي
ومشتْ تُمازِجُ غنجَها بالتيّهِ
وتدبُّ فوقَ الأرضِ مثلَ حمامةٍ
مختالةٍ بالدّلِ والترفيهِ
ومضتْ تمايلُ في العباءةِ مثلما
يتمايلُ الظامي إلى ساقيهِ
فوقفتُ محتاراً أحاولُ جاهداً
وصفَ المليحةِ فالتوى تشبيهي

***

أوّاهُ يا زمناً قضى قلبي بهِ
عُمراً بدونِ غُزيّلٍ يأويهِ
ها قد أتى يختالُ في خطراتهِ
ومضى كأنّ الأمرَ لا يعنيهِ

***

يا غادةً خُلِقَتْ لقلبي فتنة
حُرِقَ الفؤادُ فأسرعي أطفيهِ
ودعي الدلالَ مليكتي فلقد هفا
قلبي وأصبحَ غارقاً في التيهِ

***

يا من زرعتكِ في فؤادي زهرةً
هيا اسمعي ما قالَهُ شاديهِ
وتمخطري فيهِ وسيحي مثلما
يحلو لكِ التجوالُ في ناديهِ
وتدللي فيهِ بدونِ شريكةٍ
أخرى وجودي بالذي يرضيهِ
ودعِ التهّيبَ يا أنيسَ خواطري
إنّ الشجاعةَ في الهوى تحميهِ
يا ظبيةً تَعِبتْ بكتمانِ الهوى
ها إنني بشجاعتي أُبديهِ
كتمانُهُ خطرٌ على أحلامِنا
فدعي كلامَ العاذلينَ دعيهِ

إصدارات

الخطاب المعرفي الإسلامي معالجة رقمية"

صدر عن مركز دراسات الوحدة العربية ببيروت كتاب "الخطاب المعرفي الإسلامي معالجة رقمية" للدكتور حسن مظفر الرزو.
يأتي هذا الكتاب استجابة للحضور القسري لتقنيات المعلومات والاتصالات في جل تفاصيل حياتنا المعاصرة، فيسعى إلى تطويع تلك التقنيات بهدف استثمار القدرات التي توفرها في التعامل مع الخطاب الديني الإسلامي ومع المتغيرات التي يشهدها هذا الخطاب في عصرنا الراهن، ولإدخال مادة الفضاء المعرفي الإسلامي، بتشعباتها المفاهيمية كافة، إلى مشرحة التحليل الذي تمارسه أدوات الحوسبة الذكية، وللتعاطي مع أبعاد التحليل المحوسب لذلك الفضاء، في محاولة جادة لاستخلاص عصارته المعرفية من خلال سبر خصائص نسيج الخطاب الإسلامي والعلاقات الحميمة التي تربط بين مفرداته، وعبر تحليل النسق المفاهيمي لكل مسألة من مسائله، من منظور المدرسة الفكرية التي نشأ هذا النسق وترعرع في تربتها المعرفية.
يتضمن الكتاب سبعة فصول إلى جانب المقدمة والخلاصة العامة والخاتمة. يتناول الفصل الأول: "الخطاطة المعرفية للذكاء المحوسب والحوسبة الذكية"؛ والفصل الثاني: "البيانات والمعلومات: مادة الخطاطة المحوسبة"؛ والفصل الثالث: "أنموذج المنطق المضبّب وفرص معالجة المسائل الظنية"؛ والفصل الرابع: "تمرن الشبكات العصبونية الاصطناعية على معالجة موارد الفكر الإسلامي"؛ والفصل الخامس: "التنقيب في البيانات والنصوص ومواقع الويب"؛ والفصل السادس: "النظم الخبيرة وفرص تفعيلها في دائرة التطبيقات الإسلامية"؛ والفصل السابع: "تطبيقات أنطولوجيا الويب والشبكات الدلالية".
يقع الكتاب في 496 صفحة.

الـهـويـة الـوطـنـيـة

عادت إلى ساحة النقاش العام في فرنسا منذ سنوات مسألة «الهوية الوطنية». ذلك في أجواء من التساؤل حول موقع الهجرة والمهاجرين في النسيج الوطني للبلدان التي تستقبلهم. ذلك في إطار واقع تعرف فيه الدول الغنية في القارة الأوروبية العجوز موجات من الهجرة. إن الكتب التي كرّسها أصحابها لمسألة الهوية وما تطرحه من تساؤلات حول المستقبل والتحديات التي تواجهها البلدان الأوروبية بهذا الخصوص كثيرة . ومن بين هذه الكتب العمل الذي قدّمه أحد أبرز الوجوه الفكرية الفرنسية المعاصرة الان فينكلكروت تحت عنوان «الهوية البائسة».

ويكرّس فنكلكروت الصفحات الأولى من الكتاب للمقارنة بين ما كانت عليه فرنسا سياسيا واجتماعيا وثقافيا سابقا وما غدت عليه اليوم. وهو يقيم هذه المقارنة على قاعدة تجربة حياته الخاصّة ليقول إنه من مواليد عام 1949 أي «ما يعني أنني ترعرعت وأمضيت شطرا من حياتي كبالغ على المستوى الشخصي والمهني في فرنسا مختلفة عن فرنسا التي نعيش فيها اليوم»، كما يكتب.

ومن خلال مختلف مراحل حياته يؤرّخ الان فنكلكروت لفرنسا الثقافية والاجتماعية من فترة احترام الذات، وبساطة التوجّه للآخرين التي كانت توجّه وتؤسس لـ«العيش المشترك» إلى فترة بروز «النزعات القومية المتشددة» و«المشاعر العنصرية»، وإلى كل ما أسس لما يسمسه المؤلف «الهوية البائسة» حسب نسختها القائمة حاليا.

وهي هوية بائسة بالمقدار الذي تطرحه من تساؤلات مقلقة على المعنيين بها من الأوروبيين، كما يشير المؤلف، محددا القول إن تلك التساؤلات تبقى دون إجابات. وفي مقدمة تلك التساؤلات ذلك النابع من كون أن المهاجرين الذين تتزايد أعدادهم هم بصدد تغيير وجه فرنسا. والإشارة أن مثل هذه الحقيقة وما يترتب عليها من نتائج يتم إخفاؤها تحت مقولة «التنوّع» التي يؤكّد القائلون بها أنها مصدر ثراء للثروة الوطنية الفرنسية.

ومن الأفكارالتي تتردد في تحليلات الان فنكلكروت تركيزه على القول إن النخب الفرنسية تُبدي الكثير من المواقف التي تنمّ على أنها بعيدة عن هموم الفرنسيين وعن مصادر قلقهم. ولا تتردد النخب المعنية في مثل ذلك السياق عن إثارة مواضيع تؤدي إلى تشتت ما يدعم الوحدة الوطنية وما يصبّ، كما يرى المؤلف، في المحصّلة بمصلحة اليمين المتطرف الذي تعاظم حضوره في المشهد السياسي والاجتماعي في فرنسا.

ويرسم المؤلف على مدى الكثير من صفحات هذا الكتاب صورة «متشائمة» لفرنسا التي فقدت الكثير من مكانتها على المسرح العالمي، ليس في السياسة فحسب، لكن أيضا على المستوى الثقافي حيث أصبحت على الهامش بينما كانت في سنوات ما بعد الحرب العالمية الثانية وحتى سنوات السبعينات من أكثر البلدان حضورا ومكانة.

ويشرح المؤلف كيف أن «الهوية البائسة» تركت آثارها على العديد من مشارب الحياة والمجالات التي تؤسس لما سيكون عليه المستقبل، وفي مقدمة تلك المجالات «التربية». ويرى أن المهاجرين، خاصّة القادمين من حضارات مختلفة، وبالأخص القادمين من المستعمرات الفرنسية السابقة في شمال إفريقيا العربية، قد يكون لهم دورهم في «خلخلة قيم وتقاليد عمرها قرون من الزمن». ويطالب المؤلف بصيانة «الهوية الوطنية» الفرنسية ونقل القيم الفرنسية العريقة للأجيال في إطار الدفاع عن الحس الواقعي في مواجهة دعاة خلق واقع جديد تحت عنوان «التنوّع».

الكتاب: الهويّة البائسة - تأليف: الان فنكلكروت - الناشر: ستوك- 2013 - الصفحات:240 صفحة - القطع: الصغير